

قصص قصيرة

المسحور

عبدالرزاق صالح

البصرة

وبقي الزمان  
وبقيت ثلة من ضباع  
في حارة النسيان  
من قرف ينزع حليته الخاصة  
ويمضي شطر الوقف  
مترنحاً خصومة  
يهمس في أذن الهوا  
تعازيم و تعازي  
ترشق نسمه  
تتبعه غيمة من ذكريات  
كل همه  
أن يستعير رأساً من رصاص  
أو من الم لا يقاس  
يرفع للريح قبعة الخوف  
ويمضي لعزله  
محبوباً بالأدعية  
وقايا خصلة من رذات  
وخلف قصب وطين مسجور  
ينام مسحوراً  
لا يرى غير أشباح العزلة  
وأحلام ضاجة  
لا يرى سوى  
خيال امرأة عارية  
هل يشتكي للرقاد؟  
أم يعشق السهاد؟  
ويرسل طوق الحمامة  
هدية للسحاب!  
يعرف سر الوقت  
كما يعرف شبح الخوف  
وسر الهوى والرغبة والعذاب  
وشفاه من رماذ  
راح يقبل جمرات الوداع  
يتلقى عرائم السحر  
قيوده ركنت في ضباب  
فؤاده ضج  
عاصفة تولول خلف غيابه  
مسحوراً كان في حضوره  
هل بقي زمان لعابه  
أم لعابه  
أم لاغترابه  
أم لشهيقه  
أم لهفته للعناق؟

أحزانهن وأفراحنا

زيد الشهيد

المنفى



(1) سلوى وسيليا

لحظة كنت أسيرُ (أنا) في درب السرد أغدقتُ عليها فيضاً من البهاء بينما أجزلتُ (هي) عليّ وسيع بسمتها التي تدوقتها عمسلاً. دنوتُ منها فأقتربت إليّ وهممتُ بالهمس أبغي تقريظ هيامي على خمائل انتظار البوح فوجدتها ترفع سبابه وتكبح سيل الإفشاء الذي شارفت على سكه، موصدة شفطي :-  
\_ أترك ذلك لوقت آخر، ودعني أترجل في مهمة القول. لماذا تريدون الكلام دائماً لكم، يا مهيمنون؟!

لم أرغب في صدمها وإعلان أنها فتاة على الورق وأن عليها الا تعترض ؛ وما سعيتُ لإيلائها بالتصريح أنها مجرد مفردات تشكلت لترسم روحاً تفيض وجسداً يتحرك، وأني قادر على شطبها وإبعادها عن فضاء القص لكنني قلت :

- سلوى.. أنت غيمة تركتها تتسلل من سهوب روحي. وعندما هبطت بك على أرض الورقة شعرت أنني أخسر ما لا يمكن تعويضه. نحن نمسح شخصنا أجزاءً من حياتنا ونهبها أوعاماً مهمة من ملكية أعمارنا. فيوم رسم سيلانياً "سيليا" (x) من جموح خياله كانت مجرد طيف، ويوم سكبها على الورق صارت حياة تمور بالهياج. تمردت عليه وراحت تُلي داء الطبيعة التي أفردت لها ذراعي الحبور. زرعت فيها جموح أم كانت تعشق جنان الغنى هروياً من بياب الفقر وعنفوان أب خرج عن طور العائلة وأعرافها فتزوجها خادماً أجيرة تعمل في بيت الأب لساعات ثم تعود إلى كهف الحرمان. وما كانت البنت تلك التي أسماها سيليا أبهةً باصول أمها الوضيعة ولا عارفة بعناد الأب نحو اتخاذ قرار يخالف الأعراف، فاندفعت بغريزة الانطلاق، وعاشت عشرين عاماً وفي المحطة الواحدة والعشرين. قالت لسيلانيا أزيق صدري بعدوى السبل ودع السعال يتعالى لاموت مية صامتة لا يشيعني فيها غير جنون الغابة ورقة طيور السنونو كمكان منغلج يكوخ في غابة، تماماً كما مات أبي "كوستا" في كوخ مستأجر، ومثلما مات جدي "ساليوس" تلك الليلة الصامتة المنعزلة في مخزن الغلال.

- سلوى! شخصاً عمالنا تعيش فينا، وتعيش نحن على سعادة تحركها. الغرابية في الأمر أن السعادة التي نجنيها تأتي مستخلصة من سعاداتهم وعذاباتهم على السواء. سيلانياً كان سعيداً لوت سيليا لأنها انتهت له الحكاية وقدمته روائياً منقطع الإعجاب في النجاح و.....

نهضت نائرة يتعالى في صدرها خفق قلب ليل لم تعهده، وجات في ذاكرتي أيام فقد الأب مرتحلاً في مدن بعيدة لا تصلها منه غير تحيات وشوق وعهد عودة قريبة ؛ وعادت إليها لحظات موت الأم بعدما انتهكتها عوالم الحصار وضيفت عليها أيام خيبة الأمل في شعب نسي أرضه بعد مقدم النور وزوال مسببات الكمد وراح يبحر في ثرى الاقتتال وبياب الضغينة وأهات ترتفع من صدور احتشدت بحسرة خسرا الأمل رمقته بعينين تنوهجان غضباً، قائلة :-

- أطلق عليّ رصاص سربك، وارتقي إلى الذروة فانا انتظر لحظة التنوير وخاتمة أريدها تقول "تبا لكم".

(2) نظيمة وانطوائت

ارتعت من وعموده أقداح الجذل ومشت على خميلة التدوين تستقرى، مباحج وأحزاناً، نهار مسورات وليالي تعاسة. تكتب مسارات حياتها مرتدية ثوب بظلة تلطف مساجات الورق بأقدام قلم شرع يسكب جذوته بانتظار اكتمال سرد مقنع يغري لذادة القارى، سعياً لحيازتها امتلاكاً وهيمنة. وكنت أنا أتابعها على خطو القراءة التي تبغى مال وتهدف لأدراك نتائج. أبوها تلك التي كان اسمها جين ريز ويلزياً من انكلترا، وأمها من الكريول سكان جزر الهند الغربية وأمريكا اللاتينية المنحدرون من أصل أوربي أو اسباني. وابي كان بصيراً عربياً وأمي سلمانية كردية جمعتهما خيمة الاقتران رغم تفاوت الطابع وبعد المسافات رسمت تلك التي اسمها جين ريز بظلتها على هوية جديدة سميتها "انطوائت كوسمي" وفضلت أنا لتخصيصي اسم "نظيمة". الغريب أن الانتئين لهما طابع ساهما علم النفس طباعاً وراثية وصاحبهما مرشحاً لا مرئياً قال عنه الأطباء "عصابياً".

عندما التقيت جين ريز في إحدى حانات لندن كانت قد استلمت جائزة "و. ه. سميت" لنها لم تكن سعيدة باستلام الجائزة قالت لقد تأخرت علي كثيراً. ما فائدة أن استلم جائزة وأنا بعمر

أرى الموت يلوح بمنجله المشحوذ اللميع ليحصد السبعين من الأعوام في حين كنت أستحقها وأنا في الأربعين. كلماتها أدمعت عيني وترأغى داخلي شعور البوح قلت : تماماً هذا شعوري سيدتي. إنني أمل بحياة جائزة نوبل لما كتبت وما أكتب. ما فائدة أن استلمتها وأنا ساكنو بعمر الثمانين ولا استلمتها وأنا في الأربعين مثلك ؟. قالت : (أنا) سأرحل وفي فمي غصة الألفرح لكن عليك (أنت) أن تنتظر قليلاً فقد تاتيك جائزة نوبل قريباً وبلا رجاء. إنها لا تعطى إلا للمبدعين الحقيقيين. توقفت تتأمل ما كتبت وطاقف عيناها على رواياتي وقصصني وأشعاري وترجماتي والرسائل المتهافة التي ترديني من قراء معجبين وكتاب باهرين يتنون على تجاربي في التدوين والتجريب قبل أن تكمل كلامها : وأنت كذلك، تستحقها باقتدار. كنت أبغي شكرها وأبدي تواضعي أمام جائزة كبيرة كتلك التي نالتها أو التي أشارت علي باستحقاقها. كنت أريد أن أفوه لها بأني من عالم يقولون عنه ثالثاً بعرف التقسيم الحضاري عندما غابت عن ناظري : ولندن أعادتني إلى السماوة أقارن "انطوائت" بـ "نظيمة" فأجدهما يحجان بالبراءة، سائحتين على غيمة مشتركة من النقاء وسط فضاء اجتماعي لا يرحم. يسحق المرأة بأقدام العته، ويقودها باتجاه هوة الظلام رامياً عليها صفة الغباء. رأيتهما يتقاربان في العمر الثلاثيني وقد أنهكها المرض الصصائي وجعلها خيطن من دخان يتسللان ليتحانقا ثم ينفصلان. انطوائت تذهب راحلة إلى "دومنيكا" لتعاني من نظرة التخالط الانجاسي المعيب في نظر الجميع فيما "نظيمة" عراقية وسط كيان ارتضى الحناة خلط أوراق المذهبية لتزيق لحمتها الاجتماعية. الانتنان تعيشان براءة الحياة بقلبين تحشدا فيهما أمواج الصفاء بعيداً عن زبد الحقد البغيض هكذا خلدت جين ريز بظلتها في (بحر ساركاسو العظيم) وهكذا أرتد لبطلتي أن تخلد في روايتي التي لم أضع لها عنواناً لحد الآن .

(3) سناء وسوزانا

تراكم فيضني جموح من أهات الغاهما (الجالس على أريكة السرد) تكبر وتتسع تغور، ففويض وتضمرعات من حنين جارفي ترجمها تواليات لسرة غائبة وافق يحتشد بالضباب يجاسد الأفكار فلا يحصد غير رغبة التعبير الهول عن الأم الإنسانية العذبة ؛ تلك التي ولجت مآهاها وعيه فأفرزت حقياً من ضياعات وتواليات من هم مستديم، ثم استكانت أخيراً إلى مبررات الجدوى الزائفة.

تقيده تابوأت المألحول (هكذا عندما يكون خارج الورقة)، وتعيق انطلاقته في البوح (حين يفكر في إرتداء غيوم الحرية) فلا يجد غير أن يصرخ "أيها الحزن. ما لك على الدوام تطرق أبواب هجوعنا الشحيح". لا يسمع غير قهقهات الصمت تدوي في برية انتظاراته التي استطلت فعدت تلك الحبيبة ككلكي قبل لها سيأتي الغالي العزيز وهي لما تزل تنتظر وتنتظر، صارخة بعد توالي ياس

مرير : لقد مرقت أيامي، وأخذت معك كل الهنات...  
الكلمات التي يطيرها على الورقة تتقافز أمام عينيبة اللتين سرعان ما يغشيهما دمع دقيق يشكل غلالة من غشاوة، وحشرة صارت ترسم وجودها في حلقه تتساقط مع الم بطله الذي دفع به إلى خضم السرد ليتولى مهمة حصاد الفراق الأليم والنأي الثقيل لبؤرة وفاء سماًها "سناء" قالت له يوماً وهي في عز الشغف به والوله إليه "أحبك، فلا تحسني". فمارس بحقها فعل التجني وارتدى بين ذراعي الهجر ليُشيعها من مائدة الفراق الأليم والنأي الثقيل للوعة، وأرغفة التجني. تماماً كما بطل (بيدرو بارامو) الذي رمى به (خوان رولفو) على أديم "كومالا" هاسما في أذنه : ته في ثنايا البحث عن "سوزانا" التي هجرتك "راحلة إلى العالم البعيد. وما هو الآن يهمس في ذاكرة بطله : جس حالة الضياع الأيدي التي لفتنا، وقف عند زاوية الاختلاس لشبيبهك الذي اسمه بيدرو. انظر إليه بطل من نافذة غرفته يتطلع على "سوزانا" تعود إليه من عالم غدا غيبياً ، وتأمل كيف أهمل "كومالا" كاتطاعي مهيم فجعلها تستحيل قرية من قفر وبياب، لا يسكنها إلا الريح والصفير ولا يرتادها غير الغارقين في رمال الوهم، والتعثر، والسراب. يترنح بطله بين أسطر السرد ويتجه لمهمة إحكام خيوط الحكية وتشابك الأحداث..وإن يعود يروح يبحث بين الثنايا عما حصل لذلك المويء بالترحال. ما جرى له، وما لاقاه من أهوال. يجده يلف أزقة السماوة بحثاً عن سناته التي تركها يوماً قبل رحيله صوب بلدان نائية لا تربطه بحركة العالم سوى طيور رحلة تزحف جماعات جماعات في سماه، تحضن اجسامها المغزلية وأجنحة تتيح لها حرية الهففة. (سنوات الرحيل تجاوزت العقد، وانتظار الحبيب له مدى من الصبر). الأزقة تستقبله بجفاء، والأرائج التي حلم بشمها وأمل اغتراف أمواجها ما كان لها أثر على أديم الغشاء. فقط كانت رائحة عتاب ويقايا دموع جافة تشربها خثرة هواء كديم : ثم على باب صاحي ليبيت مقفل حفرت عليه مفردة انظر! فنظر! سهام عديدة تتوجه إلى قلب فقد حيويته وشحب وجوده ولم يبق من الوضوح سوى أمة مديدة :  
السرمد المضمر : هذه سهام هجره ولا مبالاته تجاه من توشحت برداء الوفاء أوعاماً وأوعاماً سيدركها المنلقى وسيعزرها بينما سيسبب جام غضبه على هامة الجاحد النكور. كذلك قال : سأتارك بطلي في جزيرة الضياع والفقد يعيش وحيداً قمياً منبوءاً يتطلع على "سناء" تاتيه فتعبد إليه تراء روحه التي شرعت في رحلة العذاب وأنجعت صوب جعل دواخله تستحيل قفراً بياباً وخواء، منتظراً ربحاً ساتني وصفيراً يقص حالة سرد يتوارى وسرد بيدرو بارامو العذب، الضائع، الحسير.

(x) سيليا أو موت في ريعان الشباب - رواية الكاتب الفنلندي سيلانيا الحاضر على جائزة نوبل - ترجمة دسلمان الواسطي - دار المأمون 1985  
(xx) بحر ساركاسو الواسع - رواية جين ريز - ترجمة فلاح رحيم جاسم - دار المأمون 1987  
(xx) بيدرو بارامو - رواية الكاتب المكسيكي خوان رولفو - ترجمة مروان إبراهيم - دار المأمون 1990

آيات العدو

عقيل صاحب شويج

ميسان

العدو قدر:	ثم يطبق فككيّ تمساح	العدو ذلك الطائر الذي يالف غنائك	للعدو آيات كثيرة،
بلاد على خط الزلازل،	مثقلاً بضغائن الأحرار وحول السواقي،	وفي لحظة يضطرب فيها المناخ،	العدو ليس مدفعا يجسد احتقان البرق،
مدينة على شفى بركان،	وأحياناً يكون القلب أشرس عدو،	وتسكن الطيور أعشاشها	أو دباية نافرة تكسكس النكتا،
بيت في طريق العاصفة،	عندما يُسلم خفاقة لسواعد الريح	تجده بغيغ غريان ينعب في الطريق،	العدو لغم يُزرع لخطواتك في عشبة ليل
عائلة تضمر شيء ليوسف،	فتقلته في الهاوية يد لعوب،	العدو ربما يكون نفساً هادءاً يتموج قريك،	وإنت بين السنة الجبهات
العدو رقيق درب	العدو قد تكون اليمين وقد أخطأها الضن،	بينما أعاصير أحشائه تخطط للعاصفة،	تتأمل فجراً بلا قدائف،
يعقد خيط صعودك بخيانة الطريق،	وفي اللبالي التي لا ترى فيها باطن الكف	ربما يكون العدو أحد أضلاعك	العدو ليس من يطفو كجناح الموج،
العدو دموع يفضحها الضوء في لحظة	ترتد ككشفير لعروك	وقد أستحال خنجرا	بينما زورقك يبحر البحر،
إنكسار	على مقبض السيف تتصلب يدك	يفرس شفيده بلا ذراع،	العدو، من يغرق في الصمت،
او غيمة ترتدي جلباب ظلك	ولكن ببصمات لا تمت اليك بصلة،	ربما يكون حزاماً تنزّر به ليوم صعب	ومن أجل نجدتك تحتاج لطوق كلمات،
ولا يرتجى منها الرحيل ولا المطر.			

